

الهجرة النبوية .. فوائد ودروس وعبر

المدينة موطن الوافدين والمهاجرين من المسلمين على تنوع بيئاتهم

الأعراب، فكسها وأعطاهما، قال: ولا أعلمه إلا قال: وأسلمت، وذكر صلحهم (الوفاء) أنها هاجرت هي وزوجها وأسلم أخوها خنيس واستشهد يوم الفتح.

مواقف خالدة لأبي أيوب

قال أبوأيوب الأنصاري: «ولما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيئتي نزل في السفلى وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله، بابي أنت وأمي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك، وتكون تحتي، فأظهر أنت فكن في العلو، ونزل نحن فنكون في السفلى، فقال: «يا أبا أيوب: إن أتقنا ربنا وبمن يغشانا أن نكون في سفلى البيت»، قال: فلقد أتكسر حُب لنا فيه ماء، فقمنا أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء يؤذي.»

هجرة علي

بعد أن أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمانات التي كانت عنده للناس، لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأدركه بقاء بعد وصوله لبليتين أو ثلاث، فكانت إقامته ببقاء ليلتين، ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم الجمعة وقد لاحظ سيدنا علي مدة إقامته بقاء امرأة مسلمة لا زوج لها، ورأى إنساناً يتبعها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليها فيعطيهما شيئاً معه، فتأخذه، قال: فاستربت بشانها، فقلت: يا أمة الله، من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه، فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف بن وهب، وقد عرف أنني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا علي أو ثابن قومه فكسرها، ثم جاءني بها، فقال: احتطبي بهذا، فكان علي ياتر ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق.

الهجرة من سنن الرسل

إن الهجرة في سبيل الله سنة قديمة، ولم تكن هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدعا في حياة الرسل لنصرة عقائدهم، فلئن كان قد هاجر من وطنه ومساء راسه من أجل الدعوة حفاظاً عليها وإيجاد بيئة خصبة لتقبلها وتستجيب لها، وتذود عنها، فقد هاجر عدد من إخوانه من الأنبياء قبله من أوطانهم لنفس الأسباب التي دعت نبينا للهجرة. وذلك أن بقاء الدعوة في أرض قاحلة لا يخدمها بل يهوق مسارها ويشل حركتها، وقد يعرضها للانكماش داخل أضيقت الدوائر، وقد قص علينا القرآن الكريم نماذج من هجرات الرسل وتتابعهم من الأمم المماضية لتبدوا لنا في وضوح سنة من سنن الله في شأن الدعوات، يأخذ بها كل مؤمن من بعدهم إذا حبل بينه وبين إيمانه وعزته، واستخف بكيانه ووجوده واعتدى على مروءته وكرامته.



وقد استجاب الله دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم وعوفي المسلمون بعدها من هذه الحمى، وغدت المدينة موطنًا ممتازًا لكل الوافدين والمهاجرين إليها من المسلمين على تنوع بيئاتهم ومواطنهم.

مكافاة النبي لأم معبد

وقد روي أنها كثرت غنمها، وتمت حتى جلبت منها جلياً إلى المدينة، فمر أبو بكر، قرأه ابنها فعرفه، فقال: يا أمة هذا الرجل الذي كان مع المبارك، فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: أو ما تدريين من هو؟ قالت: لا، قال: هو نبي الله، فدخلها عليه، فاطمئنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاهما. وفي رواية: فأنطلقت معي وأهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من أقط ومتاع

إن الجبان حثفَه من فوقه لقد وجدت الموت قبل ذوقه كالشور يحمي جلده بـرُوقه كل أمرئٍ مجاهد بـطوقه قالت: فقلت: والله ما يدرى عامر ما يقول، قلت: وكان بلال إذا ألقى عنه الحمى اضطجع بفناء البيت، ثم يرفع عقبرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة

بواد وحسولي إنخرر وجليل وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يـبـنـذون لي شامة وطفيل قالت: فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «اللهم حبيب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وانقل حماها إلى الحجة، اللهم بارك لنا في مدنها وصاعها».

آيات قرآنية نزلت في المنافقين المتخلفين عن الرسول في الخندق

تنظيم العلاقات بين المسلمين والأداب في مجلس الرسول

تنقلت آيات سورة النور من تنظيم العلاقات بين الأقارب والأصدقاء، إلى تنظيمها بين الأسرة الكبيرة.. أسرة المسلمين.. ورئيسها وقائدنا محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإلى آداب المسلمين في مجلس الرسول: «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنيوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين آمنوا بالله ورسوله وإنما المؤمنون.. الآية ثم قال تعالى: يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا جعلوا دعاء الرسول بينهم.. الآية. وأما ما كان سبب نزول هذه الآيات فهي تتضمن الآداب النفسية التنظيمية بين الجماعة وقائدنا. هذه الآداب التي لا يستقيم أمر الجماعة إلا حين نستقر من مشاعرها وعواطفها وأعماق ضميرها فتح نستقر في حياتها فتصبح تقليداً متبعاً وقانوناً نافذاً وإلا فهي الفوضى التي لا حدود لها: «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله» لا الذين يقولون بأفواههم ثم لا يعقلون مدلول قولهم، «وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنيوه»، والأمم التي يصح الأمر الهام الذي يقتضي اشتراك الجماعة فيه، لرأي أو حرب أو عمل من الأعمال العامة فلا يذهب المؤمنون حتى يستأذنوا إمامهم كي لا يصبح الأمر فوضى بلا وقار ولا نظام.

وهؤلاء الذين يؤمنون هذا الإيمان، ويلتزمون الاستئذان، وفي كل الأحوال فلا يدعي باسمه: يا محمد أو كنيته: يا أبا القاسم. كما يدعو المسلمون بعضهم بعضاً إنما يدعى بتشريف الله له وتكريمه: يا نبي الله يا رسول الله: «لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضهم بعضاً». ثم يحذر المنافقين الذين يتسللون ويذهبون بدون إذن، يلوذ بعضهم ببعض، ويتدارى بعضهم ببعض.. فعين الله عليهم، وإن كانت عين الرسول لا تراهم: «قد تصغير أو قصور يقتضي منكم لوأاد»، وهو تعبير يصور حركة التخلي والتسلل بحد من المجلس، ويتمثل فيها الجبن عن المواجهة، وحارة الحركة والشعور المصاحب لها في النفوس، «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم

الصبر ضياء، إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها وترادفت الضوابط وطال ليلها فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العاصم من الحياة كجيش عبي للقتال وقد تكلف بعض فرقته بالقتال حتى الموت لإنقاذ فرق أخرى وإنقاذ الفرق الباقية يكون للقتل بها في معارك جديدة ترسمها القيادة حسماً توجيهي في المصلحة الكبرى وتقدير فرد ما في هذه الغمار المائجة لا ينظر إليه لأن الأمر أوسع مدى من أن يرتبط بكيان فرد معين، كذلك قد يكتب القدر على البعض صنوفاً من الابتلاء ربما انتهت بصراعهم وليس أمام الفرد إلا أن يستقبل البلاء الواقد بالصبر والتسليم ومادامت الحياة امتحاناً فلنكرس جهودنا للنجاح فيه وامتحن الحياة ليس كلاماً كتب أو أقوالاً توجه إنه الآلام التي قد تقتحم النفس وتفتح إليها طريقاً من الرعب والحرص إنها النقائص التي تجعل الدنيا تتخبط بطون الكلاب وتنمى صديقين على الطوى إنهاب المطالم التي تجعل قوما يدعون الألوهية وآخرين يستشهدون وهم يدافعون عن حقوقهم المتهوبة.

إن تاريخ الحياة من بدء الخلق إلى اليوم مؤسف! ومن الحق أن يشق المرء طريقه في الحياة وهو موقن بأنه غاص بالأشوك والأقذاء وأما الحقيقة الأخرى فتتعلق بطبيعة الإيمان: فالإيمان صلة بين الإنسان وبين الله عز وجل وإذا كانت صلات الصداقة بين الناس لا يُعَدُّ بها ولا ينوه بشأنها إلا إذا أكدها من الأيام وتقلب الليالي واختلاف الحوادث فكذلك الإيمان لابد أن تخضع صلته بآخر قد يغاير الأول مغايرة تامة أي أن الإنسان قد يمتحن بالشيء وضده متقلاً بصهر الحديد في النار ثم يرمي في الماء وهكذا.. وكان سليمان عالماً بطبيعة الدنيا عندما رزق التمكين الهائل فيها فقال: «هذا من فضل ربي ليبلوني أن أشكر

ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر

أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم». والابتلاء بالأحزان مبهم الأسباب! ويحسن أن نفهم أن أوضاع الناس في الحياة كجيش عبي للقتال وقد تكلف بعض فرقته بالقتال حتى الموت لإنقاذ فرق أخرى وإنقاذ الفرق الباقية يكون للقتل بها في معارك جديدة ترسمها القيادة حسماً توجيهي في المصلحة الكبرى وتقدير فرد ما في هذه الغمار المائجة لا ينظر إليه لأن الأمر أوسع مدى من أن يرتبط بكيان فرد معين، كذلك قد يكتب القدر على البعض صنوفاً من الابتلاء ربما انتهت بصراعهم وليس أمام الفرد إلا أن يستقبل البلاء الواقد بالصبر والتسليم ومادامت الحياة امتحاناً فلنكرس جهودنا للنجاح فيه وامتحن الحياة ليس كلاماً كتب أو أقوالاً توجه إنه الآلام التي قد تقتحم النفس وتفتح إليها طريقاً من الرعب والحرص إنها النقائص التي تجعل الدنيا تتخبط بطون الكلاب وتنمى صديقين على الطوى إنهاب المطالم التي تجعل قوما يدعون الألوهية وآخرين يستشهدون وهم يدافعون عن حقوقهم المتهوبة.